والسنَّة من قبل بعض الملحدين فيه ولذلك يتردد ذكر هؤلاء «الملحدين» و«الطاعنين» كثيراً في مسائله ويتجه اتجاهًا عاما نحو الردِّ عليهم وتفنيد حججهم أو مطاعنهم وبيان ما يرجع منها إلى قصور الفهم أو إلى قلة العلم بالعربية التي هي لسان الكتاب الكريم.

ومع زيادة حجم المدون فيه، بدأت تلك المسائل تتخذ تصنيفًا تابعًا لسبب الإشكال أحيانًا ولطريقة معالجته أحيانًا أخرى.

وتظهر مادة علم المشكل في نوعين من المؤلفات: المؤلفات التي خُصَّت بجمع مسائله وبحثها وإزالة ما فيها من إشكال، والمؤلفات الموسوعية المتأخرة التي جمعت أنواع علوم القرآن ويبدو فيها أثر الفكر النظري الإسلامي، في تصنيف المسائل وتبويبها، أكثر مما يبدو في كتب المتقدمين تلك التي يغلب عليها طابع كتب التفسير من استرسال في شرح المسألة تلو الأخرى وعناية بالتطبيق تفوق العناية بالتنظير، وتقسيم الأبواب فيها يتبع ترتيبها في سور القرآن، أو تواردها في ذهن المؤلف أكثر مما يتبع تصورًا نظريا متكاملاً لجوانب الإشكال.

وسنتخذ للاطلاع على طبيعة مسائل علم المشكل والفرق بين وجهتي النظر في هذين النوعين من الكتب نموذجين منها:

أولاً: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٦٧٢ هـ)، الذي يعد أشهر ما ألف في المشكل، ومنه سنختار الألفاظ التي نتناول سياقاتها بالتحليل اللغوي الدلالي.

ثانيًا: البرهان في علوم القرآن للزركشي، في الباب الذي خصصه لهذا العلم تحت عنوان: معرفة موهم الاختلاف.

وسنحاول أن نلقي الضوء في أثناء هذه القراءة على الروابط الوثيقة بين هذه المباحث وبين علوم العربية المختلفة، وكيف طبق العلماء مناهج هذه العلوم على القرآن الكريم ووظفوا أدواتها في درسه واستمدوا منه لمادتها في الوقت نفسه.

وسنتناول بعد ذلك عددًا من ألفاظ الوجوه التي أشكلت وكان إشكالها راجعًا إلى تعدد الدلالة، وكان البحث فيها معتمدًا على الترجيح بين الوجوه بدليل السياق اللغوي والسياق العام للفظ، لنرى، كذلك، علاقة علم الوجوه والنظائر بعلوم القرآن الأخرى والتداخل الكبير بين مسائله ومسائلها، من جهة، ولندرس، من جهةٍ أخرى، دور السياق في تحديد دلالة اللفظ القرآني.